الجمهـوريـة الجـزائـريـة الـديمقـراطيـة الشعبيـة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج
-البـويـرة-
كلية آداب و لغات
قسم اللغة العربية و آدابها

Ministère de l'Enseignement supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira
Tasdawit Akli Muhend Ulhag – Tubirett
Faculté des Sciences Economiques, Commerciales
et des Sciences de Gestions

الموضوع:

هجاء بشار بن برد
و تأثره بالنسق الحضاري السائد

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

من إعداد الطالبتين:

- حنـان بـوزنـزن
- نـاديـة بـوراس

الأستـاذ:

- عيسى طيبـي

السنة الجامعية: 2013-2014

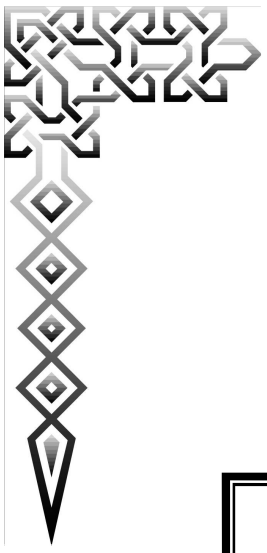

مقـدمـــة

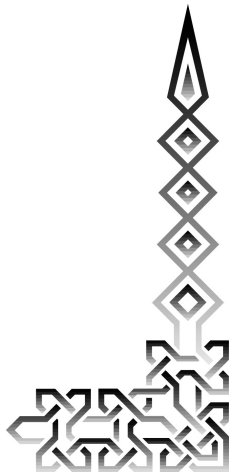

مقدمـة:

مع مجيء العباسيين إلى الحكم تغيرت أوضاع المجتمع، في القرنين الثاني والثالث هجري مع دخول الفرس إلى الدولة، إذ يعتبر هذا الدخول نعمة و نقمة، فهو نعمة على الأدب من خلال ما وصل إليه الأدب من تطور حتى سمي بالعصر الذهبي، و كما هو نقمة من خلال الظروف الجديدة التي عاشها المجتمع في ذلك العصر، فقد دفعت طائفة من الشعراء نحو التطرف، فرفعوا لواء الثورة عليه، عبثوا بأدبه و تقاليده عبثًا شديدًا، كما نشروا فيه شيئًا من القلق الاجتماعي، و الاضطراب الخلقي، و فتحت عيونهم على حياة جديدة كل الجدّة، بعيدة كل البعد عن حياة أمثالهم من قدامى الشعراء، حياة فيها حضارة وثقافة فيها لهو و مجون، و بساطة و تعقيد، و فيها طبقات مختلفة. (الغني و الفقير، الحرّ و العبيد).

فقد اتخذنا من هذه الأسباب موضوعًا اخترناه للدراسة.

إن كل تلك الأسباب أدّت إلى تحوّل الأغراض القديمة من طابعها الموروث، وظهور أغراض جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل، و من بينها غرض "الهجاء" الذي تناوله العديد من الشعراء، و من بينهم "بشار بن برد" الذي اخترناه ليكون موضوع بحثنا، قصد إبراز تأثر "بشار بن برد" بالتنسيق الحضاري السائد في عصره.

و هكذا نتوصل إلى الإشكال المطروح: ما مفهوم الهجاء؟ و مراحل نشأته؟ و ما مدى تأثير "بشار بن برد" باللهو و المجون و الزندقة و الشعوبية؟.

قد قسمنا بحثنا هذا إلى مدخل و ثلاثة فصول.

تناولنا في المدخل لمحة بصفة عامة عن حياة الشاعر "بشار بن برد" و في الفصل الأول وقفنا عن مفهوم الهجاء و أقسامه و أنواعه و خصائصه و مراحل نشأته.

و الفصل الثاني تناولنا فيه تعريفي اللهو و المجون و تأثر "بشار بن برد" بهما، وفيما يخص الفصل الثالث عالجنا تعريف الزندقة و الشعوبية، و تأثر "بشار" بهما.

و في الخاتمة توصلنا إلى بعض النتائج التي استنتجناها من بحثنا.

و اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع التي ساعدتنا في انجاز بحثنا منها "دراسات الشعر العباسي" لـ "صلاح مهدي الزبيدي"، و "الهجاء في الأدب الأندلسي" لـ "فوزي عيسى"، و تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل لـ "شوقي ضيف".

و من الصعوبات التي وجهناها في بحثنا هذا تكمن في كثرة المراجع التي تجعل الموضوع أكثر تشعبًا، و بالنتيجة يمكن القول أن صعوبات البحث هي محاولة محاصرة المادة التي لها صلة مباشرة بالموضوع المطروح حتى لا نحيد عن ما يحدده موضوع البحث، و ما يمكن أن يثيره من إشكالات، فالمشكلة إذًا تتعلق بسعة الموضوع و تماسه مع موضوعات كثيرًا بالنظر إلى طبيعة "العصر العباسي".

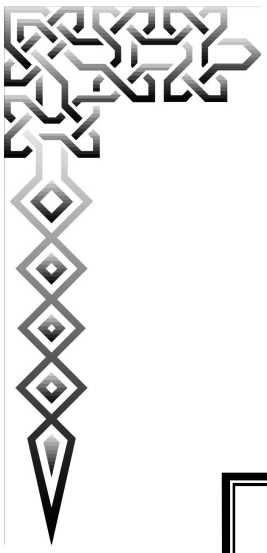
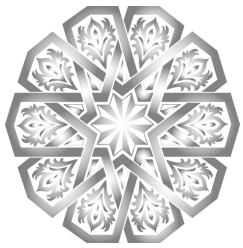

تمهيد

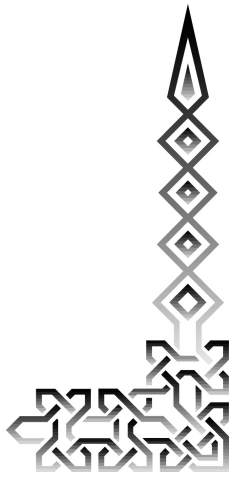

تمهيد:

شغل الشعر العباسي كثيرًا من المهتمين بشؤون الأدب من عرب و مستشرقين، قديمًا و حديثًا، و ذهبوا في تناوله غير مذهب، و في اتجاهات شتى و مختلفة، و ألفوا كتبًا عديدة على مستوى التجربة الأدبية تتناول بعض المواضيع و الأغراض الشعرية التي هزّت كيان المجتمع، و يعود ذلك إلى الأسباب السياسية و الفكرية التي شهدها المجتمع العربي والإسلامي بعد قيام الدولة العباسية. فهكذا إذن نقف عند فن كان له عند صاحبه ميزة بارزة تمثلت في الإكثار منه و طغيانه على سائر الفنون الشعرية الأخرى، مع الإقذاع و الفحش، إنّه يتمثل في فن الهجاء الذي عرف به بشار بن برد.[1]

ترجمة الشاعر:

«الشاعر هو بشار بن برد برجوح زعيم المحدثين»[2]، « ولد بالبصرة سنة 95هـ»[3]، و هو فارسي الأصل، كان جدّه يرجوج من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة، فقيد البصر أي أنه ولد أعمى[4]، و قد أشار بشار إلى ذلك في قوله:

جَدِّي الّذِي أَسْمُو بِهِ ∴ كِسْرَى وَ سَاسَانَ أَبِي.

وقَيْصَرًا خَالِي إِذَا ∴ عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِي.[5]

كان أبوه "برد"من ضيعتها بالبصرة المعروفة بـ (خيرفان)، فوهبت "برد" بعد أن زوجته لامرأة من "بني عقيل" كانت متصلة بها، فولدت له امرأته "بشار"، فأعتقته و لذلك يقال "بشار العقيلي"، و بعد ذلك أصبح برد طيانا يضرب اللبن حاذقا بالتطيين، و كان يقول ما

---

[1] – ينظر: معتز قصي ياسين، البواعث النفسية في هجاء بشار بن برد، مركز الدراسات البصرة و الخليج العربي، ص: 152.

[2] – محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2004، ص: 128.

[3] - مصطفاي موهوب، المثالية في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 347.

[4] - ينظر: رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، تحقيق، نجيب عطوان، مؤسسة عزّ الدين للطباعة و النشر، 1985م، ط1، ص: 231.

[5] – فوزي عيسى، في الأدب العباسي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ط1، ص: 239.

رأيت مولودًا أعظم بركة من ابني "بشار"، و لقد ولد له و ما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم، و لم يمت "برد" حتى قال "بشار" الشعر[1] و لقب بشار بالمرعث إمّا أنّه كان في أذنه و هو صغير، رعاث هو القرط، أو لأنّه كان بقميصه جيبان جيب عن يمينه و جيب عن شماله، فإن أراد لبسه، ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، و إذا أراد نزعه حل إزاره و خرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها كما قال:[2]

قَـالَ رِيـ ُم ِرْعَثُ ∴ سَحِرُ الطَّرْفِ و النَّظَرِ.

لَـ ـسْتُ وَ الله نائلـي ∴ قُلْتُ أو يـ ُغْلَبُ الْقَـدَرِ.

أَنْتَ إِنْ رَمتْ وِصَالُنَا ∴ فَاتِحٌ هَلْ تَرَكَ القَـرِ. [3]

و من العوامل التي تركت أثرًا عميقًا في شخصيته و شعره محنة العمى التي لازمته من أن كان صغيرًا[4]. و قد أشار إلى ذلك و قال:

عَيْتُ جَنِينًا و النَّكَاءُ من العَمى ∴ فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِ لِلْعِلْمِ مَوْئِلاَ . [5]

و مما يحكى عنه أنه كان إذا هجا قومًا جاءوا إلى أبيه فشكوه، فضربه ضربًا شديدًا فكانت أّمه تقول له: " كم تضرب هذا الصبي الضرير، أما ترحمه؟ فيقول: بَلَى والله إني أرحمه و لكنه يتعرض للناس فيشكونه إلّي ".

فسمع بشار فطمع به و قال: " يا أبتي هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، و إّني إن ألممت عليه أغنيتك و سائر أهلي فإن شكوني إليك قل لهم أليس الله يقول: «ليس على الأعمى حرج » ".

و لما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار، فانصرفوا و هم يقولون: (فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار).

---

[1] – محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص: 129.

[2] – علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته و شعره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1411هـ 1990م)، ط1، ص: 11-12.

[3] – المرجع نفسه، ص: 11-12.

[4] – فوزي عيسى، في الأدب العباسي، ص: 239.

[5] – محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص: 229.

و كان لبشار أخوان بشر و بشير، يعملان كقصابين[1]، و بالإضافة إلى كل هذا وجه بشار ليس بذلك الوجه المشرف الجذاب الذي يستميلك، إنّما هو في اعتقاد "طه حسين" رجل ثقيل الظل له من الفن حَظه الموفور، و لكن روحه في حاجة شديدة إلى الخفة. [2]

كان بشار فخما عظيم الخلق طويلا، جاحظ المقلتين قد تفاشاهما لحما أحمر، فكان أقبح الناس عمى و أفظعهم منظرًا، و شفع ذمامة خلقته بفساد خلقه،فكان زنديقًا يظهر الإسلام و يضمر المجوسية، حوشيًا ضيق الصدر، خبيث الهجاء، بذيء الكلام، مخشي اللسان، يفتدي الناس أعراضهم[3]، فليس عجيبًا لرجل بهذه الصفات من أجل أن يكون مثير السخرية و استهزاء من معاصريه الذين كانوا يتحرشون به و يسخرون منه فكان يقابل هذه السخرية بغضب شديد يصدر عنه تفوه بكلمات و ألفاظ فاحشة. [4]

و إلى جانب قبح منظره نجد الرق و الفقر و العمى هي من أهم الجوانب التي كانت لها الأثر الكبير في سلوك بشار و شعره. فنشأ رافضًا متمردًا ثائرًا على العادات والتقاليد والقيم العربية كارها كل ما هو عربي و كان أكثر ما يضايقه أن يعاير بالرق والولاء.

و كما أبدع في الهجاء و السبب ربّما يعود إلى قرب عهده بمشاحنات "جرير" و"الفرزدق" و رغبته أن يكون مشهورًا، كما أنه هيئته و نفسيته اللتان أشرنا إليهما من قبل كان لهما الأثر الشديد في أن يكره بشار الآخرين، فبهذا هجا كل من اعترض سبيله.

و يظهر لنا هجاء بشار على ثلاثة أنواع: الأول هو الهجاء الشخصي، و هو الذي يهجو به بشار شخصًا معينًا و من بين أول و أهم الشخصيات التي هجاها بشار "حماد عجرد"، و قد كان بينهما هجاء، و كان "حماد عجرد"معروفًا ببذاءته في الهجاء، و كان يتعرض دائمًا إلى بشار و أسرته، كما فعل عندما هجاه مستصغر أمهة والدة، كما تناول خلقته و شبهه بالقرد الأعمى، و كان هذا التصرف من "حماد" يؤذي "بشار" و يبكيه،

---

[1] – محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص: 229.

[2] – طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ج2، دار العلم للملايين، 1991، ط1، ص: 85.

[3] – رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، ص: 231.

[4] – علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته و شعره، ص: 13.

وعندما قال له قائل: "أتبكي من هجاء حماد"، قال: "و الله ما أبكي من هجائه و لكن أبكي لأنه يراني و لا أراه فيصفني و لا أصفه". [1]

و كان يتحاشى هجاء "حماد" خوفاً منه، و كان يرغب دائما في إهماله، لكنه لم يجد في ابتعاده عنه منجى، فعمد إلى هجائه، و في هجائه لحماد و نسبه إلى أن ابن النهيبي يقول: [2]

إبـن نَهيبي رأسَ على ثَقيلٍ ∴ وَاحْتِمالُ الرُّؤوسِ خَطْبٌ جَلِيلٍ.

أَدْعُ غَيْرِي إلى عبادة الأثن ∴ ينِ فَإِنِّـي بِوَاحِـدٍ مَشْغُولٍ.

يَا ابْنَ نَهِيبِي بِئْتَ مِنْكَ إِلَى الله ∴ جِهَارًا وذَاكَ مِنّـي لَقَلِيل. [3]

ففي هذه الأبيات اتهم بشار حماد بالزندقة لمجونه في شعره و قوله بالثنوية في عبادة اثنين، و هذا اتهام في غاية الخطورة عندما يريد شاعر إلحاق الأذى بشاعر آخر.

أما النوع الثاني من هجاء "بشار" فهو العرب تحت تأثير التعصب القومي، يقول في هذا الصدد:

أصبحت مولى ذي الجلال و بعضهم ∴ مولى العربي فخذ بفضلك فاقتصر.

مولاك أكرم من تميم كلّها ∴ أهل الفعال و من قريش المشعر.

فارجع إلى مولاك غير مدافع ∴ سبحان مولاك الأجل الأكبر. [4]

فبشار ينفي عنه الولاء للعرب، و يؤكد ولائه لله سبحانه و تعالى و هو أحسن وأفضل ولاء.

---

[1] – علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته و شعره، ص: 68.

[2] – المرجع نفسه، ص: 69.

[3] – المرجع نفسه، ص: 79.

[4] – المرجع نفسه، ص: 81.

و النوع الأخير من هجاء بشار هو هجاؤه لأهل السلطان الذين بخلوا عليه بالعطاء، فنجده أكثر من هذا النوع، فقال في هجاء "المهدي" بعد أن أنشده قصيدة بمدحه بها و لم يحظى منه بما يريد.

خَليفَـة يَزْني بِمَاتـه ∴ يَلْعَبُ بِالبُـوقِ و الصُولَجَانِ.

أَبَلنَا الله بِهِ غَيْرَهُ ∴ سَوسَى في حرِ الخَيْزَران. [1]

و أي جرأة يمكن أن تصل إلى هذا المستوى و أية ألفاظ أشد إيلاما من ألفاظ هجائه، فالمهدي يلعب بلعبة خطيرة بها الصبيان، ثم تعرض لزوجته الخيزران.

هكذا يكون"بشار" قد برع في فن الهجاء، و في الحق أنه قتل الهجاء و أن الهجاء قتله أيضًا، فقد كان فاسقًا بل زنديقا على حد قول "فوزي عيسى"، و لم ينفعه تستره و لا تكتمه و لمن الزندقة لم تقتله و إّنما اتخذت وسيلة إلى قتله، و الذي قتله إّنما هو هجاؤه "للمهدي"، و "يعقوب بن داوود" وزير "المهدي"، إذ شعره هو الذي قتله. [2]

و نجد أيضًا "بشار بن برد" قد تأثر في شعره بكل من الغزل و المديح و الرثاء والفخر و الحكم، و كان صاحب اللهو و المجون، و تأثر أيضًا بالشعوبية و الزندقة.

و من هنا نتطرق إلى الهجاء في العصر العباسي الذي ضعفت فيه العصبية القبلية، و لكن ظهرت منافسة بين شعراء ذلك العصر، لم يكونوا يتركوا مثلبة خلقية أو نفسية في شخص إلاّ و استخدموها في هجائهم، و قد طال هذا الهجاء بعض الخلفاء و الوزراء، ومنه هجاء "بشار بن برد" للخليفة "المهدي" في مثل قوله:

بَنـي أُميـة هّبوا طَـالَ نَوْمُكم ∴ إنَّ الخَيفَـة يعقُوب بن داوود.

ضاعت خلافتكم يا نـاس فالتمسوا ∴ خلافـة الله بين الزف و العود. [3]

---

[1] – علي نجيب عطوي، بشار بن برد، حياته و شعره، ص: 79.

[2] – ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ص: 106.

[3] – صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص: 96.

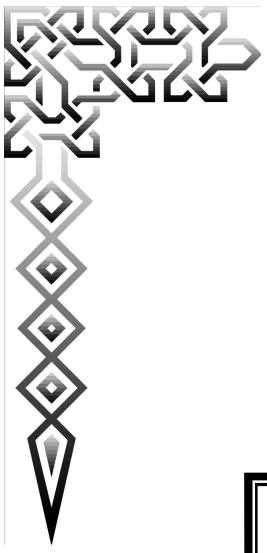

الفصل الأول

تعريف غرض الهجاء ومراحل نشوئه

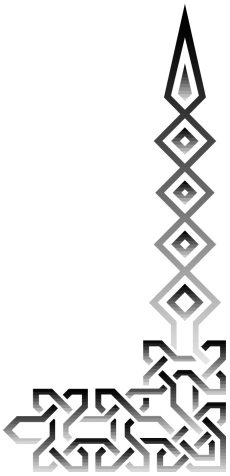

المعنى اللغوي للهجاء:

ورد في معجم لسان العرب في مادة (هجا):

هجاه يهجوه هجوًا و تهجاه، ممدود: شتمه بالشّعر و هو خلاف المدح.

هجأ: هَجِيءَ الرجل، هجأ: التهب جوعه.

هجأ جوعه، هَجْأً و هُجُوءًا: سكن و ذهب.

هجأ غَرْثِي يَهْجَأُ هِجْأً: سكن و ذهب و انقطع.

هجأه الطعام بهجؤه هجأ: ملأه، هجأ الطعام: أكله.

أهجأ الطعام غَرْثِي: سَكَّنه و قطعه، إهجَاء: قال.

فَأَخْ اهُمْ رَبِّي، ودَلَّ عَلَيْهِمْ ∴ وأَطْعَمُهُمْ مِنْ مَطْعِمِ غَيْرِ مُهْجِيء.

هَجَأَ الإبل و الغنم أو أهجأها:كفّها لِ تْرَعَى.

الهجاء، ممدودة: تهجئه الحرف، و تهجأت الحرف.

تهجيته: بهمز و تبديل، أبو العباس:

الهجأ: يقصر و يهمز و هو كل ما كنت فيه. فانقطع عنك.

و من قول بشار:

قَضَيْتُ مِنْ وَرَقِ الشَّبَابِ هَجًا ∴ مِنْ كُلِّ أَ خوزاَجِعِ قَصَدُ هْ.

أهجأته حقه و أهجينه حقه إذا أديته إليه. [1]

وقد ورد أيضًا ببعض المعاني مختلفة نذكر منها أن الهجاء مأخوذ من الضفدع، فهو قبيح الشكل، بشع الصوت، وقد يكون مأخوذا من اشتداد الحرّ، ففيه معنى التشكيل والتعذيب، وقد يكون مأخوذ من الأصل الهجائي، فهو يكشف عن سيئات المهجو...

فمعاني الكلمة تدور حول البشاعة و الشدّة و النكال و الكشف. [2]

---

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، ج15، ص: 21.

[2] – فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ط1، 2007، ص: 11-15.

الهجاء اصطلاحًا:

«الهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب و الاحتقار و الاستهزاء، اقترن بأناشيدهم الدينية الأولى التي كانوا يتهجون بها إلى الآلهة ». [1]

و الهجاء ضد المدح، و هو فن يلجأ إليه الشاعر إذ يهاجم فردًا أو جماعة، فالهجاء فن الكره و البغض و الاحتقار، إذ يصب فيه الشاعر جميع ما يراه من معايب على من يهجوه.

و الهجاء نزعة طبيعية في الإنسان ما دامت عاطفته تتراوح بين الرضا و الارتياح فيمدح، و الغضب و الاستياء فيهجو.

و يركز الشاعر الهاجي على الصفحات المذمومة ليهجو خصمه فيختار الصفات والألفاظ التي تهز كيان الخصم، و تجعله شخصا ذليلا بين أفراد المجتمع و هو أقوى من ذلك. [2]

[1] – سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، ط1، 2011م-1432هـ.

[2] – ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، ص: 246.

طبيعة الهجاء:

« إذا كان المديح يقوم على الإعجاب، فإن الهجاء نقيض ذلك يقوم على الازدراء واحتقار المهجو، و الهجاء قديم كالمدح في تاريخ النشأة منذ اليوم الذي سعى فيه الإنسان إلى التعبير عن سخطه حين اصطدم بواقع أثار فيه الحقد و الكراهية، و جعله يشمئز ويعلن اشمئزازه بطريقة فنية، و من هذا كان الهجاء عملاً فنيًا و بابًا من أبواب الأدب لم ينشأ عبثًا و لم يكن نزوة عن نزوات بعض الشعراء، بل هو في أساسه ضرب من معاناة الإنسان للوجود ». [1]

عرف الهجاء في جميع الأبواب العالمية فكانت له مظاهره مختلفة تبعًا لبواعثه ولحالات الشعراء القائمين به.

نشأ الهجاء بموضوع الحماسة، حيث كان الشاعر أثناء حديثه بقومه و فخره بهم يتعرض لأعدائهم فيوجه لهم نيران هجائه السام المقذع، و كان الهجاء شديد الوقع على نفس العرب، و يقول "الجاحظ": « و لأمر ما بكت العرب الدموع الغزار من وقع الهجاء». وقد ورد عن العرب القدماء قولهم: « جرح السيف يزول و جرح اللسان يطول». أي أن أثر اللسان أحد من حد السيف لأن العرب كانوا يعتزون بالمروءة والشرف و الحسب و النسب لذلك فهم يتألمون عندما يمسهم شاعر في هذه الخصال.

و من هنا نستطيع أن نلخص أنواع الهجاء فيما يلي:

الهجاء الفردي:

يوجه إلى الشخص الذي ينقم عليه الشاعر فيحاول إظهار مثالبه و يدعوا إلى احتقاره.

---

[1] – محي الدين أبو شقراء، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، الناشر المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص: 250.

الهجاء الجماعي:

يوجه إلى جماعة من الناس قد تكون هذه الجماعة قبيلة أو مجتمعًا أو أمة، و يقوم الشاعر بإظهار مثالبهم و سلب فضائلهم، و برز هذا النوع في العصر الجاهلي فكان قبليًا، و سطع نجمه مرّة أخرى في العصر العباسي لكنه كان قوميًا بعد ظهور الشعوبية.

الهجاء الخَلقي:

يتناول العيوب الجسدية و العاهات البارزة كقصر القامة أو العرج أو طول الأنف...ومثال على هذا بعض من هجاء "المتنبي" "لكافور الأخشيدي"، إذ أنّه تعرض للون بشرته في بعض الأبيات:

مِنْ عِلْمِ الأَسْوَدِ المُخَصِّي مكرمة ∴ أَقْوَمه ُ البَيْضُ أم أَجْدَاُه الصّيْدُ.

أُم أُذُنَيْهِ بِيَدِ النُّخَاسِ دَامِيَةٌ ∴ أُم قَدْرُه ُ وَ هُو بِالفَلَيينَ مردود. [1]

الهجاء الفاحش:

يتناول أعراض الناس بألفاظ بذيئة بعيدة عن الأخلاق و هذا النوع يجعل القارئ يشمئز منه.

الهجاء الخلقي:

يتناول العيوب النفسية كالغدر و الخيانة و البخل و الكذب كقول أحدهم يهجو البخيل:

يَجُوعُ ضَيْفُ أَبا ذُوح بِ كُرْة و عَشيَّة ∴ أَلَجِ َبطْنِ ي حتَّى نِقْتُ طَعْم المنّية.

فَأَتَ انِي بِرَغِيفٍ قَدْ أَنْرَكَ الجَاهِلَية ∴ فَقُمْتُ عليه بِفَأْسٍ كِيما أَنَقّ مِنْه ُ شُظّية.

الهجاء الكاريكاتوري:

يظم المساوئ بأسلوب فكاهي و يسخر من الشخص المهجو، و هذا النوع يحمل القارئ على الضحك. [2]

---

[1] – الموسوعة العلمية: The blinding emerald: Ibn al-Rawandis, Kitab al-Zumurrud.pdf.

[2] – الموسوعة العلمية: The blinding emerald: Ibn al-Rawandis, Kitab al-Zumurrud.pdf.

أقسام الهجاء:

1- الهجاء المقذع المباشر:

الذي لا يعد الشتم و السب بالألفاظ الخاصة بهما، و هذا النوع قد يعدم القيمة الفنية، إذ أّنه لا ينطوي على عمق في التفكير و الرؤيا و الأداء.

2- الهجاء المنعكس عن الفخر:

الملازم به المستمد منه، حيث يفخر الشاعر في القبيلة بين نفسه و الآخرين، ينهي إليها كل خير و إلى ما دونها كل شر و نقع على هذا النوع من هجاء أعدائه، و ربّما طفت هذه النزعة على الشعر الأموي و خاصة ما كان منه "الأخطل" و "الفرزدق" و"جرير".

ففي هذا النوع نجده يكثر في البطولات، فيفتخر شاعر القبيلة على قبيلة تكون خاصمة لها فيمدح فيه أبطالها و قائدها و يضم مجتمع القبيلة الأخرى.

و هناك أيضًا نوع أخر من الهجاء و نستطيع أن نطلق عليه هجاء اللغة و العاهة، فهنا الشاعر يكون كئيبًا و متشائمًا، و يصدر عنه شعر هاج لنفسه.

و كذلك عرف هجاء السخرية و التندر، بحيث يتماجن الشاعر و يعبث بمصير الآخرين، يكون مستهزئ بسخفهم و عاهاتهم و نقائصهم، فهنا يكون الشاعر يصدر شعره عن خفة و لهو لا عن نقمة أو غيظ.

ففي كل الأحوال فن الهجاء يعبر الشاعر عن تجربة اشمئزاز من الناس و نقمه عليهم و تنديد بمساوئهم و تصوير قبائحهم، لأن الهجاء ناقد بطبعه تسترعيه حماقات الناس و أخطائهم بأكثر ممّا تسترعيه فضائلهم، فهنا يكون ساخط على المجتمع ثائر على ما فيه من ضيق و اشمئزاز، فيقول شعرًا ماجنًا.[1]

---

[1] – **ينظر:** أبو شقراء محي الدين، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، الناشر المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص: 251.

المراحل و الأطوار التي مرّ بها غرض الهجاء:

1- في الجاهلية:

ينقسم الهجاء في الجاهلية إلى قسمين فردي و قبلي، فالفردي يعتمد فيه الشاعر عن تجريد المهجو من فضائل المعرفة عند قومه، كالشجاعة و الكرم و كل الصفات الخلقية التي يمتاز بها بين أفراد قبيلته.

أما الهجاء القبلي فكان بمثابة دفاع عن ما كانت القبيلة و ذود عن حياضها، لأن للهجاء وقعًا كان يلجأ إليه الشعراء ليساندوا شجعانهم في الحرب، و يعرفوا من شأن قبيلتهم ويردوا الاعتبار.

لذلك لم يكن الشاعر القديم لسان حال القبيلة و حامل لوائها، فحسب، بل كان يعيش دوره، مهولا هذا الدور بأحقاد الشخصية، و تلك الأحقاد التي تتلاقى أحيانًا بأحقاد قبيلته ويندفع مسعورًا في إنشاده، لأن مصير قبيلته هو مصيره الشخصي و ليس للأنا من حدود إلاّ في حدود مجتمعه.

فقد كان الشعر لا يحفظ من طرف رَاويهِ فقط و إّنما من أفراد المجتمع كلهم، لأن كان يردد و ينشد في الأعياد و الاحتفالات و المناسبات على عامة الناس، وقد كان يقرأ أيضًا في الأسواق كسوق عكاظ و ذي المجاز، و هكذا أصبح لشاعر القبيلة مكانة وموضع اجتماعي كفارس و قائد و بطل المعركة في القبيلة، فهؤلاء يحاربون بالسيف، و ذاك يحارب بلسانه و قلمه.[1]

2- الهجاء في العصر الإسلامي (الراشدي و الأموي):

انتشر الهجاء في هذا العصر انتشارًا شديدًا، و يعود السبب إلى أنّ هذا العصر عصر الأحزان و الفتن و تطاحن ديني و سياسي، و اضطراب مذاهب الشعراء و الدفاع عن الترعات و اشتعال النيران العصبية القبلية.[2]

---

[1] – ينظر: محي الدين أبو شقراء، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، الناشر المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص: 252-253.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 253-254.

كما اتسع نطاق الخصومات القبلية و الفردية، لأن الشعراء في ذلك الوقت لا تهمهم أخرابهم بقدر ما يهمهم فنهم الشعري، فأصبح الهجاء في هذه الحقبة من فن منقطع إلى فن دائم و مستمر، و احترفوا الهجاء احترافا حتى أصبح يشيد بالمفاخر و الإقذاع في القول الذي يمزق الأعراض و تفصيل المخازي تفصيلاً يستطيع به الشاعر أن يتفوق على خصمه في نظر الجماهير و كان الشاعر يضمن قصائده الأبيات التي تفجر الضحك أو تدعوا إلى الإعجاب مستلهمًا سياسة العصر و ميول البلاط.

فالنقائض ليست إلاّ هاجي بالمعنى القديم للهجاء الذي كان يعرف عند العرب الجاهلية إنّما هي مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية و أخرى اجتماعية لعصر بني أمية.

و كان في الهجاء قّوة سحرية، و يعتبر رد الشاعر لمهجو على خصمه بمثابة إبطال مفعول القوة الشريرة الكامنة في الهجاء. [1]

3- الهجاء في العصر العباسي:

قد اختلف الهجاء في العصر العباسي على ما كان عليه في العصرين الماضيين (الجاهلي و الأموي) لاختلاف البيئة و الحضارة، لأن ضَعُفَتْ العصبية القبلية في العصر العباسي و حلّت محلّها العصبية القبلية.

و انتقل أيضًا النزاع القبلي على النزاع الفكري بين العربي و الشعوبي بين العقل والنقل بعد أن كثرت العقائد و المذاهب.

و كما أن الصراع السياسي الذي ساعد في العهد الأموي كان منطلق من التهاجي والمفاخرة، و الصراع الفكري منطلق الصراع الشعري.

وهكذا يكون الهجاء قد اصطبغ صبغة الأصل و العقيدة و الملّة و النزعة الاجتماعية.

---

[1] – ينظر: محي الدين أبو شقراء، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص: 254.

الفصل الثاني

المجون و اللهو عند بشار بن برد

و بالرغم من تعدد الأغراض في العصر العباسي و الأنواع الأدبية كالمدح والهجاء والفخر و الوصف و غيرها، و بالتالي ظلّ الهجاء رائجًا على كلّ هذه الأغراض خاصة في النوع الفردي الذي يصرف فيه الشاعر همه الشخصي إلى شخص معين و ينصب عليه تجريحًا أو تحقيرًا. [1]

مفهوم المجون لغة:

« **مَجَنَ:** مجن الشيء يَمْجُنُ مُجُونًا إذَا صَلُبَ و غَلُظ. و منه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه و قلّة استحيائه.

- **الماجن:** عند العرب هو الذي يرتكب المقابح المردية و الفضائح المخزية، ولا يمضه عذل عاذلة و لا تقريع من يقرعه.
- **المجون:** أن لا يبالي الإنسان بما صنع.

قال "ابن سيده": (الماجن من الرجال الذي لا يبالي بما قال و لا ما قيل له كأنه من غلظ الوجه و الصلابة).

- مَجَنَ، يَمْجُنُ، مَجَنَ و مَجْنًا، حكى الأخيرة، "سيبويه" قال: (و قالوا المُجْنُ كما قالوا الشغل). و هو ماجن

"قال الأزهري": ((سمعت أعرابيًا يقوم الخادم له كان يعذله كثيرًا و هو لا يريع إلى قوله: أراك قد مَجَنْتُ على الكلام أراد أنه مَرِن عليه لا يعبأ به)).

"قال أبو عباس": ((سمعت "ابن الأعرابي" يقول المجّان عند العرب، الباطل)).

مَجَنّة: على أميال من مكّة، **قال "ابن جني":** ((يحتمل أن يكون من مجن وأن يكون من جنّ)). و هو الأسبق وقد ذكر ذلك في ترجمة جنن أيضًا.

قال "ابن الأثير": مَجَنّة موضع بأسفل مكة على أميال و كان يقام بها للعرب سوق». [2]

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 254-255.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، ج13، ص: 65.

المجون اصطلاحًا:

«يصدد "هدارة" مفهوم المجون بقوله: "هو ارتكاب المأثم و الدعوة إلى التحلل الأخلاق، و مجانية الآداب بدعوى الحرية الفكرية إذا كان المجون عند "هدارة" ما هو إلاّ التصريح بالمآثر و التحلل الأخلاقي و مجانية الآداب، فإن بابا واسعا في الشعر العربي دخل في المجون، و عليه فإن الباحث لم يوافق فيما يرى بالتحديد هذا المفهوم تحديدًا/موضوعيًا، فما اصطلح عليه بشعر المجون و إن كان متسعًا إلاّ أنه لا يخرج عن حدود العبث على ما ينطوي عليه هذا المفهوم من عوالق و ملابسات" ».[1]

و من هنا يمكن أن ندرج مجون بشار و أبو نواس، و العبث لم يكن منقطعًا عن الأسباب و الدوافع الشخصية، من أجل ذلك كان مجون بشار يختلف عن مجون أبي نواس، لأنّ هناك من الأسباب و الدوافع الشخصية و من أجل ذلك كان مجون بشار يختلف. مجون أبي نواس لأن هناك من الأسباب النفسية الاجتماعية و الثقافية و الطباع ما يجعل المجون نزوعًا فرديًا يدل على سمات خاصة إذ الناس في هذه الأمور مختلفون، فهم و إن تقاسموا صفة العبث إلاّ أنّ لكل فرد دوافعه.

ثم مؤدي العبث بين الشعراء متباين، فعبث بشار لم يصل الحد درجة تعابث أبي نواس مثلاً .[2]

---

[1] – أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص: 92-93.

[2] – ينظر: أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص 93.

مجون بشار:

«لقد علقت شبهة المجون و الزندقة بشخصية بشار من جراء سلوكه قبل كل شيء، فهو بطبيعته متبرم بالناس مفطور على استعدائهم، إذ شحذ لسانه منذ الصغر بهجائهم، حتى كان موضوع الهجاء وسيلة لإثبات وجوده، و كان موضوع الغزل مجالاً آخر لتثبيت تلك التهمة على اعتبار الغزل، كان أداته للتعبير عن اللذّة و المتعة التي كان يميل إليها بطبيعته، فكان مجونه متردداً بين هجائه و غزله على نحو خاص، حتى قال "يونس النحوي" على نحو ما روى "ابن سلام": العجيب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم و يهجو رجالهم يعني بشار». [1]

يعتبر "بشار" إذن شخص بطبيعته ذو سلوك منبوذ ذلك من خلال شعره في كل من عرضه هجاء الذي كان يستعمله لاستعداء الناس و الغزل الذي كان وسيلة لتعبير عن لذّة والمتعة. هذا ما منع النقاد يعلقون عليه صفة المجون و الزندقة.[2]

[1] – أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص: 95.

[2] – ينظر: أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص 96.

دوافع المجون عند بشار:

يصدر مجون "بشار بن برد" عن التعايش بصورة أساسية، و ليس التعايش في حال من الأحوال تطاولا مقصودًا على أعراف المجتمع و قيمه، أو انتفاضًا على واقع، أو موقفًا فكريًا هادفا، و إنّما هو ميل فطري، و اتجاه ذاتي يخلو فيه الرجل إلى متعته و لذته ويتحلل من قيود كثيرة كانت مفروضة عليه، ركب أسلوب التعايش و التطرف، و كان هذا الأسلوب مقبولا عند أشد الخلفاء غيرة و حياء عن الخليفة "المهدي" الذي قبل تعابث "بشار" في كثير من المواقف من باب التسلي و الإضحاك.

كان "بشار" إذن يميل إلى الدعابة و الهزل و التظرف و العبث، و كان لعاهته أثر بالغ في ذلك، لأّنه كان يقول دائما يريد التفوق على المبصرين و لم يكن لديه وسيلة أخرى لبلوغ ذلك سوى العبث عبر به عن وجوده، كما كان أسلوبه في الإبداع.

كان أوجع الهجاء في نفس "بشار" ذاك الذي يطول شكله، أو يشير إلى عاهته، لهذا قيل أّنه بكى لما شّبهه "حماد عجرد" بقرد أعمى، فقيل له ما يبكيك من هذا الشعر؟ فقال أّنه يراني و لا أراه.

إنّ بشار كان يدرك أنه لم يستطع مبارزة المبصرين من الشعراء و غير الشعراء لأنه كان يشعر أنه مكشوف لبصرهم و هم مستورون عنه لا يستطيع أن يجسد معايبهم الخلقية على نحو ما كان خصومه يجسدون عاهته و شكله، لهذا ما كان يزعجه شيء في هجاء الشعراء مثلما يزعجه تصويرهم إياه بالقرد أن هذا التصوير صادف إحساس لديه بقبح المنظر و سوء الطباع، في مسألة التعايش كان منقادًا أكثر كونه قائدًا.[1]

[1] – ينظر: أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص: 102-103.

أبعاد المجون و أثره في تقويم شعر "بشار":

إن ما جاء به الباحثون من آراء حول مجون "بشار" لا يؤخذ بكليته كما أنه لا يرد في جملته، و ربما كان تصوراتهم إزاء موضوع المجون بدوافعه السياسية و الفكرية وحتى العرقية منوطة بالواقع التاريخي الذي عاش فيه "بشار" ما جعله يتعابث و يتمرد ويتطاول على القيم هو أن الخلفاء كانوا يتهاونون في ردع المتهاجنين من الشعراء.

"فالمهدي" مع تشدده لم يزدجر "بشار" على عبثه و مجونه و إنما أمر بقتله حين هجاء فكان ظاهر تهمته رميه بالزندقة و الإلحاد.

و أما باطنها فهو الهجاء كما تجمع المصادر التي تكلمت على موت "بشار"، كان "بشار" ينال الأعطيات الجزلة من جراء تهاجنه، و بمعنى أن عين الرقيب كانت تغفل على مجونه طالما أن ذلك المجون لا يشكل خطرًا على ذوي السلطان، أو ينال من شخصياتهم.[1]

« كانت هذه المسالة واضحة في أذهان نقاد الشعر القديم على رأسهم "الأصمعي" و"الجاحظ"، "فالأصمعي" كان من أوثق الرواة و أصدقهم علمًا، كما أن "الجاحظ" من أظهر النقاد الذين أمعنوا النظر في جماليات العربية، هذا أن الرجلان كانا أشد المناصرين لمذهب "بشار" في الشعر، "بشار" تسنم ذروة الشعر العربي زمنًا، وقد أقر له الأقدمون بالتفوق والعبقرية.

لم ينظر النقاد القدامى إلى مجون "بشار" بعيدًا عن ظروفه الخاصة إذ المجون عند "بشار" و غيره موضوع فن، و الموضوع يمثل مادة الشعر، و الحكم النقدي لا يهتم بالمادة بقدر اهتمامه بالصياغة و سبل تجويدها، و من الطبيعي أن يرتقي "بشار" المكانة السامقة التي وضعه فيها النقاد، ذلك لأنّه امتلك ناصية البيان و أجاد في صناعته إجادة لم تتوافر لكثير غيره من شعراء العربية ». [2]

---

[1] – ينظر: أحمد علي محمد، المجون في شعر بشار بن برد، دوافعه و أبعاده، ص: 103-104.

[2] – نفس المرجع، ص: 104.

مفهوم اللهو لغة:

« **اللهو:** َما لّهـ ْوتَ به و لعبت به و شغلك من هوى و طرب و نحوهما، و في الحديث: لبس شيء من اللهو إلاّ في ثلاث أي ليس من مباح إلاّ هذه، لأن كل واحدة منها إذا تأملتها وجدتها معنية على حق أو ذريعة إليه.

اللهو: اللعب، يقال لهوت بالشيء ألهو به لهًوا و تلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت و غفلت به عن غيره.

لهيت: عن الشيء.

ألهى: لهًيا و لهيانًا إذا سلوت عنه و تركت ذكره، و إذا غفلت عنه و اشتغلت.

قال تعالى: « َو إذا رأو تـِجَارة أو لهًوا ».

قيل اللهو: الطبل، و قيل أيضًا اللهو كل ما تلهى به، لها، يلهو، لهًوا و التهى وألهاه وذلك، قال "ساعدة بن جؤية":

فَأَلْهاهُم بِاثْنَيْنِ مِنْهُم كِلاَهُم ∴ بِهِ فَارت، من النجيع، دميم.

الملاهي: آلات اللهو، وقد تلاهى بذلك و الألهوة و الألهية و التلهية ما تلاهى به، و يقال بينهم ألهية كما يقال أجحية و تقديرها أفعوله، **التلهية:** حديث يـُ تـَ لـَهَّى به ».[1]

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، ج13، ص: 246-247.

مفهوم اللهـو اصطلاحا:

كان اللهو لونا من ألوان الشعر في العصر العباسي، فقد طفا الفساد الأخلاقي في الحياة الاجتماعية العباسية، بسبب وجود القيان و الجواري و الغلمان و كلهم جاءوا من بلدان شتى و مختلفة.

و انتشرت مجالس و الأجواء المناسبة ليتوافدوا على تلك المجالس لبدء القيان بالفرق و الغناء و بدء المغنية أيضًا بالغناء التي تسحر الفرقة الموسيقية بغنائها العذب، ويهيأ أصحاب أولائك القيان الخمور لطلاب اللذة ليشربوا وسط ذلك المجلس الحافل بالموسيقى والغناء و إذا كانوا يبتزون أموالهم لقاء تلك الليالي، فتأثر الشعر تأثًرا بالغًا بتلك المجالس، ومن الشعراء من دعته الحاجة إلى نظم الشعر لتغنيه الجواري و القيان حتى اختفى شاعر بعدد كبير من الجواري يغنين شعره و يذعنه بين الناس، و كان كل من الشاعر جاريته فمثلاً "بشار" جاريته "عبدة" » . [1]

ظهور اللهو:

لعل مجتمعنا العربي لم يعرف اللهو كما عرّفه المجتمع العباسي في القرنين الثاني والثالث فقد غرق الناس في "الكوفة" و "البصرة" و "بغداد" إلى آذانهم في الحضارة الفارسية المادية و ما ينطوي فيه من غناء و خمر، و حقًا بدأت طلائع ذلك في أواخر العصر الأموي حيث ظهر "الوليد بن يزيد" و حين أخذت "الكوفة" تسرف على نفسها في اللهو و ما يتبعه، لكن ذلك لا يقاس في شيء إلى ما كان في العصر العباسي الذي شعر فيه الفرس بحريتهم، حتى لتأخذ شكل ثورة عاصفة على جميع التقاليد العربية، و مضى أبناء هذه الثورة يهوّن في كؤوس اللهو و الخمر حتى الثمالة. [2]

---

[1] – ينظر: صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، ط1، 2010، ص: 20.

[2] – ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط17، ص: 69.

لم تعد البيئة الاجتماعية العربية في العصر العباسي ذات جنس واحد بل تعددت أجناسها و اختلفت و ذلك بدخول أجناس غير عربية من فرس و ترك و روم "بربر" فبعد أن امتزج العنصر العربي بالعناصر الداخلية اختلفت العادات و المعتقدات و الأخلاق وهذا ماول انحطاط في الأخلاق فشاع بذلك اللهو و الشرب و الخمر و الغناء و انعكس ذلك على مختلف الفئات من علماء و شعراء جسدوا كل هذا في أشعارهم و أعمالهم ».[1]

[1] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، لبنان، ط10، ص: 361.

الفصل الثالث

الزندقة و الشعوبية
عند بشار

الزندقـة:

« كانت أشد الثورات بأسا و أكثرها خطرًا في العصر العباسي الأوّل، تلك الثورات التي أذكى نيرانها الزنادقة، الذين تبعد تعاليمهم عن تعاليم الإسلام و عقائده، وتقوم على أنواع من الديمقراطية الفاسدة التي تبيح المحرّمات و تعبث بالآداب الاجتماعية و تعرض الحياة السياسية و الاجتماعية للخطر ». [1]

و للزندقة إذن عدّة معان منها:

الزندقـة لغـة:

« **زنـدق:** الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرّب، و هو بالفارسية زَنْدِكَاي، يقول بدوام بقاء الدهر.

الزندقـة: الضيق، قيل: الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه، التهذيب: الزنديق معروف، و زندقته أنه لا يؤمن بالآخرة و وحدانية الخالق.

قال "أحمد ابن يحي": ليس زنديق و لا فرزين من كلام العرب، ثم قال: و لكن البيادقة هم الرجالة، قال: و ليس في كلام العرب زنديق، و يقال رجل زندق و زندقي إذا كان شديد البخل، فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة، قالوا: ملحد و دهري، فإذا أرادوا معنى السن قالوا: دهري.

الجوهري: الزنديق من الثنوية و هو معرب، و الجمع الزنادقة وقد تزندق، والاسم الزندقة ». [2]

الزندقـة اصطلاحًـا:

مصطلح الزندقة أصله فارسي وقد استعمله الفرس قديمًا، إذ كان يطلق على من يوجه الطعن أو ينحرف في تفسيره عن تعاليم (الأفستا) وهو كتاب داعيتهم القديم (زرداشت)، و استخدمت الكلمة في العصر العباسي لتدل على من اعتنق أو دعا من قريب

---

[1] – أمين أبو الليل، العصر العباسي الأوّل، مؤسسة الورق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص: 34.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج7، ص: 54.

أو بعيد إلى إحدى الديانات المجوسية، ثم اتسع مدلولها لتشمل كل الحاد بالدين الإسلامي وكل مجاهرة لأي من مظاهر الفسق و الإثم و الفجور و التهتك. [1]

و كان أيضًا يطلق على كل من يتأثر بالفرس و يسرف في العبث و المجون، ومن يتمسك بالعقيدة الثنوية، أما في العصر العباسي فقد توسع لفظ الزندقة، فأصبح يطلق على من ينكر الألوهية و يتظاهر بالظُّرف.

و قال "أبو الفرج الأصفهاني" (ت 348هـ) عن الزنادقة:[2]

« إنّهم كانوا يعرفون بالثنوية و عبادة إلهين و أتباع تعاليم ماني ».[3]

الشعوبيـة لغة:

« **الشّعب:** القبيلة العظيمة، و قيل: الحي العظيم يتشّعب من القبيلة، و قيل: هو القبيلة نفسها، و الجمع شُعوب.

الشّعبْ: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم و يضمهم، و في التنزيل: « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا و قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ».

و قال "ابن عباس" رضي الله عنه في ذلك: « الشُّعوبُ اللُجَّةُ، و القَبائِلَ البطُون».

بطون العرب، الشَّعْبُ ما تَشَعَّبَ من قبائل العرب و العجم، و كل جيل شعب، قال "ذو الرّمة":

لاَ أَحْسِبُ الدَّهْرَ يُلِي جّدَّه، أَبَدًا ∴ و لاَ تَنَسُّمَ شَعْبًا وَاحِدًا، شُعُبُ.

وقد غلبت الشعوب: بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب: شعوبّي.

---

[1] – ينظر: صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2005، ص: 25.

[2] – ينظر: أمين أبو الليل، العصر العباسي الأوّل، مؤسسة الورق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص:34-35.

[3] – المرجع نفسه، ص: 35.

الشعوب: لا تفضل العرب على العجم، و الشعوبّي: الذي يصغر شأن العرب، و لا يرى لهم فضلاً على غيرهم ». [1]

و جاء أيضًا في تعريف شعب في معجم الوسيط أنها تعني قوم.

شعب (فلان إلى صديقه): اشتاق إليه.

شَعْبُ (مادة ش ع ب).

الشعب: ج شعوب: الجماعة الكبيرة من الناس.

الشعب: الجماعة التي تتكلم لسانا واحد. [2]

الشعوبيـة اصطلاحًا:

الشعوبية حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، إذ كان العراق هو المسرح الذي ظهرت عليه، و ترعرعت فيه، لأنه كان ملتقى العنصر العربي بالعنصر الفارسي المغلوب.[3]

و يعرّفه المفكر الألماني "جيرامب": « الشعب تلك الجماعة العضوية التي تشترك معاني تكوين الحضارة و هي تنشأ في الأرض الأم و ترتبط لها ارتباطا قويًا ممّا يجعلها تعيش في شكل وحدة عضوية متماسكة ».[4]

و لفظ الشعوبية مأخوذة من الشعوب جمع شعب و هو جيل الناس، و الشعوبية باعتبارها نزعة سياسية، لم تسفر عن وجهها الحقيقي، إلاّ في العصر العباسي، أما قبل ذلك فقد كانت نزعة خفية لا تقوى على الظهور.

و صفة الشعبية توحي إلينا دائمًا إلى مجهول المؤلف و توحي أيضًا إلى روح الجماعة المبدعة نقول هذا إنسان يوحي إلى القدم و العرق البدائي.[5]

---

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج8، ص: 85-86.

[2] – ينظر: نور الدين عصام، الوسيط، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 758.

[3] – عمرو عمر، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه، دروس، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011م، ص: 45.

[4] – المرجع نفسه، ص: 46.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 46-47.

و الشعوبية إذن تعني التعصب الفارسي على العرب، إذ أثيرت تحت نطاقها مسألة المساواة بين الموالي و العرب في العهد الأموي، فإنّها تحولت على نزعة مقيتة، تحاول إثبات تفوق الفرس على العرب.[1]

شعوبيـة و زندقـة بشـار:

نادى الإسلام بقوة لهدم الفوارق العصبية للقبائل و الفوارق الجنسية للشعوب، ليسود الوئام و السلام بين أفراد المجتمع الإسلامي، فكلهم متساوون في الحقوق و لا تفاضل إلا بالتقوى، و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم في خطبة حجة الوداع: « يا أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، كلكم لآدم و آدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، و ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ».[2]

و في عهد "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه أثناء حرب (صفين)، نجد نيران العصبية القبلية أشد لهبها، و هذا بسبب خلفاء بني أمية إلاّ "عمر بن عبد العزيز" الذي لم تطل مدّة خلافته، و أساءوا إلى الموالى و أرهقوهم بكثرة الضرائب، و تظاهروا باحتضان الإسلام بين حناياهم في حين كانوا يحنون إلى دين آبائهم و أجدادهم، و هكذا استمرت عدوى هذه المعاملة السيئة بين الأفراد حتى أصبحت سببا في اضطغانهم على العرب، وبعد قيام الدولة العباسية انعكست الآية و غدت كفة العنصر الأجنبي هي الراجحة على الكفة العربية، إذ أصبح النفوذ العربي ضعيفا أمام النفوذ الأجنبي الذي تغلغل في مجال الحياة والمجتمع، و من أبرز الشعراء الذين أوقدوا نيران الشعوبية، نجد "بشار بن برد" الذي كانت شعوبيته صارخة، لأنه كان زنديقا و عدوا للعرب و لدينهم الحنيف.[3]

---

[1] – ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي، الشعر، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص:26.

[2] – ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط17، ص: 74.

[3] – ينظر: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص: 364-365.

يرسم" بشار" في شعره التطور التاريخي لحركة الشعوبية، مصورا انبثاق شعورهم القومي، و انبعاث تطلعهم إلى الظهور و التميز عن العرب و التخلي عن الولاء، و بداية معارضة الفرس و الخراسانيين للعرب، بعد تصاعد إحساسهم بكيانهم و استقرار وضعهم وارتفاع منزلتهم فأحس "بن برد" أنه ارتفع شأنه بعد أن يرون فيه مدافعا عنهم.[1]

و هكذا يعد "بشار" في طليعة الشعراء الشعوبيين، فهو أفصحهم تعبيرا عن تلك النزعة و أكثر تمثيلا لجمهور الموالي في اتجاهاتهم و أرائهم المتعلقة بهذه النزعة التي تمجد كل ما هو فارسي و تنبذ كل ما هو عربي، و من الشواهد التي أعطاها تبين أنه ذا أصل فارسي من ناحية الأب و الأم و أن مرباه في بني عامر قال:

و نَبِئْتَ قَوْمًا بِهِمْ جَنَّةُ ∴ يَقُولُونَ مَنْ ذا و كُنْتَ الَمَ.

أَلَا يَأْهَا السَّائِل جَاهِدَا ∴ لِ يَعْرِفُنِي أَنْ أَنَّنِي الكرُم.

نِمْتُ فِي الكِرَامِ بين عامر ∴ فُروعِي وَ أَطْرِي قُرَيْشُ العجم. [2]

وقد جاء في كتاب "مصطفى بيطام" في نقله عن "بشار" أنه كان كثير التلون في ولائه، شديد التشعب و التعصب للعجم، فهو من خلال شعره نجده تارة يفخر بولائه لقيس، وتارة أخرى يتبرأ من ولائه لبني عقيل، و في كل موقف من مواقفه هذه نلمس أثرًا للشعوبية والحنين إلى أصله الفارسي، كما يتضح ذلك من خلال شعره و مما يدل على أن "بشارًا" أعجمي الأصل، ومما يروى عنه و دال على أنه أعجمي، هو أنه لما دخل يوما على المهدي سأله الخليفة: [3]

(فيمن تعد يا بشار؟

قال له بشار: أما اللسان و الزي فعربيان، و أما الأصل فعجمي، كما قلت يا أمير المؤمنين في شعري).

---

[1] – ينظر: عروة عمر، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه، دروس، ص: 77.

[2] – ينظر: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ص: 366.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 367.

يقول بشار:

هَلْ مِنْ رَسُولٍ مُخْبِرٍ ∴ عَنِّي جَمِيعَ العَرَبِ.
مَنْ كَانَ حَيًا مِنْهُمْ ∴ وَ مَنْ ثَوَى فِي التُرَبِ.
جَنِّي الذّي أَسْمُو بِهِ ∴ كَسْرِي وسَاسَانَ أَبِي.
و قَيْصَرَ لَي إِذَا ∴ عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِي. [1]

و يروي أيضا عن "بشار" أنه وجده أحدًا أعرابيا في مجزأة "بن ثور السدوسي"، وعليه بزة الشعراء، فقال الأعرابي: من الرجل؟ فقالوا: شاعر، فقال: أمولى أم هو عربي؟ فقالوا: بلى مولى؟ فقال الأعرابي: و ما للموالي و للشعر، فعصب بشار و سكت هنيهة، ثم قال: أتأذن لي يا أبا نور؟ قال: قال ما شئت يا أبا معاذ، فأنشأ بشار يقول:[2]

لَيْلِي لاَ أَنَامُ عَلَى إِقْتِسَارِ ∴ وَ لاَ أَبَى عَلَى مَوْلَى وَ جَارِ.
سَأُخْبِرُ فَاخِرَ الأَعْرَابِ عَنِي ∴ وَ عَفْ حِينَ تَأْذَنُ بِالفَخَارِ.
أَحِينُ كَسَيْتَ بَعْدَ العَرِي خَزَ ∴ وَ نَادَمْتَ الكِرَامَ عَلَى العقارِ.
فَاخَرْ يَا ابْنَ اَعِيَةَ وَ اَعٍ ∴ بَنِي الأَحْرَارِ حِبْكَ مِنْ خَسَارِ.[3]

و كانت أيضا البيئة البداوية أهم مطاعن الشعوبية، ضد العرب، فوصفتهم بخشونة العيش، و رمتهم بقذارة الحيوان، لأن هذا الأعرابي ينظر إلى بشار المولى نظرة احتقار وصغار و استهزاء، و كانت شاعريته عند هؤلاء الأعراب تقع موقع الإنكار رغم تمثل بشار لأحاسيسهم و مشاعرهم.[4]

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 367.

[2] – ينظر: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد، ص: 369.

[3] – المرجع نفسه، ص: 369.

[4] – عروة عمر، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه، ص: 78-79.

و إلى جانب هذه النزعة التي عبر عنها "بشار" من خلال شعره، نجد نزعة أخرى تتمثل في نزعة دينية _إن أصح القول_ أو الزندقة التي تعد شقا ثانيا للشعوبية، و يقول "الأصفهاني" « بالرجعة و يكفر جميع الأئمة و يصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين».[1]

يقول بشار:

لْبِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُم آدَم ∴ فَتَنَبَّهُوا يَا مَعْشَرَ الفَجَّارِ.
النَّارُ عُنْصُرُهُ وَ آدَمُ طِينَة ∴ وَ الطِينُ لاَ يَسْمُو سُمُوُّ النَّارِ.

فهكذا وجهت لبشار اتهامات حول ضعف ممارسة الدين.

و لم يقف بشار إذا على تفضيل النار على الطين و إبليس عن أدم فقد ذهبت زندقته و مجوسيته إلى تفضيل الشعر عن القرآن الكريم دون حياء أو خجل، و الدليل على ذلك ما رواه "الأصفهاني" عن الفضل ابن يعقوب فيقول:[2] « كنا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنينا و بشار عندنا فغنت بقوله:

إنَّ الخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى ∴ وَ إِذَا أَبَى شَيْئًا أَبَيْتَهُ.
وَ مَخْضَبُ رَخْصُ البَنَا ∴ نْ بَكَى عَلِي وَ مَا بَكَيْتُ .
يَا مَنْظُرُ حُسْنَ أَلْبَتَّ ∴ مِنْ وَجْهِ جَارِيَة فَدَيْتُهُ.

و طرب بشار و قال هذا و الله أحسن من سورة حشر ».[3]

---

[1] – مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد، ص: 370.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 371.

[3] – ينظر: مصطفى بيطام، المرجع نفسه، ص: 371.

و كان بشار أيضا لا يعير أي اهتمام للدين الإسلامي، فقد كان لا يقيم الصلاة، إذا سئل عن عدم قيام بأداء صلاة الظهر مثلا في ذلك اليوم التي تكون قد مر وقتها يقول:[1]

« إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ».[2]

و كان بشار بن برد لا يكترث بالحج، وقد اقترح عليه "سعد بن القعقاع" أن يخرجا للحج بعد أن نسبهما الناس إلى الزندقة فخرجا وعندما وصلا إلى مكان يسمى (زرارة) ندم "ابن القعقاع"، فما لا إلى زرارة اللهو و اللعب، فلما قفل الحاج عرضا لهم بعد أن جززا رأسيهما، فلم يشك الناس في حجهما، غير أن ابن القعقاع فضح بشار بقوله:

أَلَم تَرَنِي و بَشَارِ حَجَجْنَا ∴ وَكَانَ الحَجُ مِنْ خَيْرِ التجَارِ

خَرَجْنَا طلَ بِي سَفَرِ بَعِيدٍ ∴ فَمالَ بِنَا الطّرِيق إلى زرارة. [3]

و ظل بشار كغيره من الزنادقة رغم إفحامهم متمسكين بعقائدهم، و لم تغدوا ردود "واصل بن عطاء" الكلامية على "بشار بن برد" في شيء، فقد ظل متشككا متحيرا مخلطا يقول:

خلقت على ما في غير مخير ∴ هَواي و لو خبرت كنت المهذبا.

أريد فلا أعطى و أعطى و لم أرد ∴ و يقصر علمي أن أنال المغيبا.[4]

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 371.

[2] – ينظر: مصطفى بيطام، المرجع نفسه، ص: 371.

[3] – عروة عمر، الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه، ص: 36.

[4] – المرجع نفسه، ص: 37.

خـــاتمـــة

خاتمة:

بعد طول البحث و القراءة و الاستفسار في انجاز بحثنا هذا المتواضع، تبين لنا مدى أهمية الهجاء و تأثر النسق الحضاري السائد في العصر العباسي

ركّزنا في عملنا هذا عن تأثر الشعراء بمظاهر اللهو و المجون، الزندقة و الشعوبية. نجد الهجاء إذا يتمثل في تصوير عاطفة غضب و احتقار، و استهزاء شاعر من شخص ما، و من أبرز شعراء هذا العرض نجد "بشار بن برد" الذي كان أول من طرف هذا الباب، إذ هجا الناس في صباه الباكر، ود نتج هذا الهجاء عند لعدّة أسباب منها:

- نشأته في موطن الهجاء و الهجائين.
- آفة العمى التي أصيب بها و غرست في نفسه مشاعر الحقد.
- نشأته على الرق و العبودية.

كما كان مؤثرا بمظاهر اللهو و المجون، إذ أنه اقتصر على شرب الخمر و مجالس اللهو و الطرب و الغناء، و شيوع الشهوات و الملّذات، و معاشرة الجواري.

كان بشار متشبعا و زندقيا، فشعوبيته منبثقة من نظرة العرب إليه نظرة احتقار وصفار، لا نظرة إكبار و إجلال، و بالتالي أثار عنده الغضب الشديد و الحقد.

و وجهت إليه أيضا بعض الاتهامات، كشغف الممارسة الدينية عنده، فأحل زندقته، كان لا يؤمن إلا بالعيان و ما شهده الحس، فمثلا كان لا يؤمن بالجنة و النار و لا يكترث بالحج.

و في الختام نقول بأن العصر العباسي عرف العديد من الأعراض الشعرية منها الهجاء، و انتشار مظاهر اللهو و المجون، الزندقة و الشعوبية، التي كانت ناجمة عن النسق الحضاري السائد في ذلك العصر.

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2005.
- احمد علي محمد، المجون في شعر "بشار بن برد"، دوافعه و أبعاده.
- أمين أبو الليل، العصر العباسي الأول، مؤسسة الورق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، لبنان، ط10.
- رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، تحقيق نجيب عطوان، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، 1985.
- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، 2011.
- شوقي ضيف، في العصر العباسي تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط17.
- صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر و التوزيع، عمان، الأردن.
- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ج2، دار العلم للملايين، 1991.
- عبد الرحمن عبد الحميد، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث.
- عروة عمر، الشعر العباسي أبرز اتجاهاته و أعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
- علي نجيب عطوي، بشار بن برد حياته و شعره، دار الكتابة العالمية، لبنان، (1990-1411).
- فوزي عيسى، للأدب العربي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

- محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطابعة و النشر، الإسكندرية، 2004.
- محي الدين أبو شقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، نشر المركزي الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- معتز قص ياسين، البواعث النفسية في هجاء بشار بن برد، مركز الدراسات البصر و الخليج العربي.
- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995.
- مصطفى موهوب، المثالية في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- نور الدين عصام، الوسيط، منشورات الورق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2008.

❁ **الموسوعة العلمية للأنترنت**:

- The blinding emerald: Ibn al-Rawandis, kitab al-rumurrud.pdf.

الفهـــــرس

العنوان الصفحــة

مقدمـة..... 01
تمهيـد..... 04
الفصل الأول: تعريف غرض الهجاء و مراحل نشوئه
- الهجاء لغة..... 10
- الهجاء اصطلاحا..... 11
- طبيعة و أنواع الهجاء..... 12
- أقسام الهجاء..... 14
- المراحل التي مرّ بها غرض الهجاء..... 15

الفصل الثاني: المجون و اللهو عند «بشار بن برد»
- تعريف المجون لغة..... 18
- تعريف المجون اصطلاحا..... 19
- مجون بشار..... 20
- دوافع المجون عند بشار..... 21
- أبعاد المجون و أثره في تقويم شعر بشار..... 22
- اللهو لغة..... 23
- اللهو اصطلاحا..... 24
- ظهور اللهو..... 24

الفصل الثالث: الزندقة و الشعوبية عند بشار
- الزندقة لغة..... 27
- الزندقة اصطلاحا..... 27
- الشعوبية لغة..... 28
- الشعوبية اصطلاحا..... 29
- شعوبية و زندقة بشار..... 30
الخـاتمـة..... 36
قائمة المصادر و المراجع..... 38